سُورَةُ المُدَّثِّرِ

النزول: مكية.

والآيات الخمس في أولها هي ثاني ما نزل، بعد الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو يُحَدِّث عن زمن الوحي، فقال في حديثه: «بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحِراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرَعَبْتُ منه، فرَجَعْتُ، فقلت: **زَمِّلُوني زَمِّلُوني**، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾. إلى قوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ فحَمِيَ الوحيُ وتتابع». (رواه البخاري برقم ٤، ومسلم برقم ١٦١).

المقاصد:

١ ـ تقرير رسالة سيدنا محمد ﷺ.

٢ ـ تقرير البعث بعرض أسباب دخول النار.

❁ ❁ ❁

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

التفسير:

١ ـ ٥ ـ تبدأ السورة بنداء النبي ﷺ: يا أيها المتغَطِّي بثيابه، قُمْ من مضجعك؛ لتنذرَ الناس، وتُبَشِّرَهم وتُعَلِّمُهم بما أُرْسِلْتَ به، وخُصَّ ربَّك الذي خلقك وأرسلك بالتكبير، وخُصَّ نفسك بتنقيتها مما يسخط الله، وثيابك بتطهيرها من النجاسات، وابتعد عن الأصنام والأوثان التي تُعْبَدُ وتُعَظَّم من دون الله، وعن كل رجز وقبيح من قول أو فعل.

٦ ـ ولا تنظر إلى ما تنفقه من مال وجهد وعلم ودعوة على أنه كثير، بل اجعله في نظر نفسك قليلاً.

٧ ـ ومن أجل رضا الله والقرب منه احتمِلْ ما يصيبك من ضر، واصبر على ما تسمع وما ترى، وما ينزل بك من إيذاء قومك؛ بسبب دعوتك إياهم إلى التوحيد والهدى.

٨ ـ ١٠ ـ فإذا نفخ في الصور نفخة البعث والقيام، فزع الخلائق واضطربوا، وخرجوا من قبورهم. وهو يوم شديد قاسٍ على الكافرين الذين لم يستجيبوا لدعوة الله في الدنيا، أمَّا المؤمنون فيكون يوماً يسيراً عليهم.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ أصل المدَّثِّر: المتدثِّر، فأُدغمت التاء في الدال. والدِّثار هي الثياب الظاهرة، ويقابلها: الشِّعار، وهي: الثياب التي تلي الجسد.

٢ ـ نداء النبي ﷺ بالمدَّثِّر ملاطفة في الخطاب، وتبيين للحالة التي كان عليها عند حصول النداء له.

٣ ـ تقديم المفعول على الفعل في عدد من هذه الآيات نحو ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ للاختصاص، فلا يكون التكبير لغير الله.

٤ ـ ورد الأمر بتكبير الله تعالى بعد الأمر بالإنذار؛ لتنبيه النبي ﷺ ألَّا يكترثَ بالكفار، ولا يبالي بهم ولا بتهديدهم وإيذائهم، وألَّا يُرْهِبَ إلا الله، فإنَّ كل كبير مقهور تحت عظمته تعالى وكبريائه.

٥ ـ يرى عدد من المفسرين أن المراد بالأمر بتطهير الثياب تطهير القلب والنفس؛ وذلك لأن الثياب كالشيء الملازم للإنسان، فكُنِيَ بها عنه، ومثل هذا قول بعضهم: المَجْدُ في ثوبه، والعفَّةُ في إزاره، ولأنَّ الغالب أن من يطهر باطنه فإنه يطهر ظاهره. (التفسير الكبير للفخر الرازي: ٣٠/ ١٧٠).

٦ ـ أُمِرَ النبيُّ ﷺ بهَجْرِ الأوثان والأصنام، وسَيِّئ الأخلاق مع أنه ﷺ كان بعيداً عنها، ليدومَ على ذلك البعد ويحافظ عليه، وليعلم أنَّ ما فعله بفطرته حق وصواب.

٧ ـ في الأمر بألَّا يستكثر العطاء والعمل حِكَمٌ كثيرة، منها: الحَثُّ على دوام العمل واستمراره، وعدم الاغترار به وبالنفس.

٨ ـ عَبَّرَتِ الآية الكريمة عن النفخ في الصور بالنقر في الناقور. والنَّقْرُ في اللغة: هو القَرْعُ المُفْضِي إلى النقب، والناقور: الصُّور. (المفردات للراغب، مادة نقر، ٥٠٣). وفي هذا التعبير إشارة إلى شدة هذا الصوت وعِظَمِه.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ
تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ
وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ
﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

التفسير:

نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة، كما ذكر كثير من المفسرين، وكان من أشدِّ أعداء هذا الدين، وله موقف عجيب ذكرته هذه الآيات.

١١ ـ ١٥ ـ تبدأ هذه الآيات بالوعيد الشديد لِـمَن اتصف بالصفات التي ستُذْكر لاحقاً، إذ يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: اتْرُكْ لي أَمْرَ عقاب هذا الكافر وجزائه، وقد كان وقت ولادته وحيداً لا مال له، وجعلتُ له بعد ذلك مالاً وفيراً كثيراً، ورَزَقْتُه عدداً من الأولاد، يحضرون معه المحافل والمشاهد، ويأنس بوجودهم حوله، وبَلَغَ من الرفاهية ورَغَدِ العيش منزلةً عالية، وأصبح أحد كبار قومه، ومع حصول كلِّ هذه النعم كان يطمع في الزيادة عليها.

١٦ ـ كلا لن تحصل له زيادة على ما أعطي، فهو لا يستحق ذلك؛ لعدم إيمانه بالله ومعاندته للحق، مع تبيُّنه له.

١٧ ـ وسيُعَذَّب يوم القيامة في النار عذاباً شديداً يُرْهِقُه، ويُذْهِبُ قوته، وذلك في مقابل طَمَعِه في زيادة النعيم والرفاهية.

١٨ ـ ٢٥ ـ تَذْكُرُ هذه الآيات موقفاً لهذا الكافر المعاند للحق، وتروي كتب السيرة والتفسير (السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٤٣ و٢٤٤، وجامع البيان للطبري: ٢٩/ ٢٥٦، وتفسير البغوي: ٥/ ١٧٦): أنَّ الوليد بن المغيرة بعد أن استمع مرة لتلاوة النبي ﷺ وتأثَّر بها، وامتدح ما سمع، خاف زعماء قريش أن يُسْلِمَ، وأن يُؤَثِّر إسلامه في أهل مكة، فذهب إليه بعضهم، وطلبوا منه كلاماً واضحاً صريحاً في شأن القرآن؛ ليكون مَقْنَعاً لِـمَنْ يسمعه، ليقولوه للناس، ويَصْرِفُوهم عن اتباع الحق. فقال الوليد بعد أن فَكَّر وتأمَّل، وأمعن النظر مراراً: ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يُفَرِّقُ بين الرجل وأهله وولده؟ وما هذا

الذي يقوله إلا سِحْرٌ نقله عَمَّنْ علَّمه إياه. وفي هذه الآيات وصف هذه الحادثة، إذ تبيَّن أنه دخل في صراع كبير مع نفسه، وبَحَثَ بدأبٍ عن كلامٍ مقنع لِمَنْ يسمع هذا القرآن، فأكثر من التفكير، وتَرَيَّثَ قبل أن يعلن ما توصَّلَ إليه من رأي في القرآن، وتَهَرَّبَ من إعلان الحق الذي استقر في قلبه، وهو مستحق للَّعْنِ والطرد من رحمة الله على ما فعل، بسبب العناد والجحود. ونتيجةَ الاضطراب الهائل في نفسه والتفكير الطويل في قلب الحقيقة قَطَّب وجهه عابساً، ثم زاد في ذلك العبوس والتجهّم، حتى تَوَصَّل إلى ما افتراه.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ تشير الآيات الكريمة (١١ ـ ١٦) إلى فضيلة القناعة والرضا بالمقدَّر، فلا يُكثر من التطلع إلى زيادة المال، ولا يبالغ في السعي إلى المنصب والجاه، كما تشير إلى التنفير من خُلُقِ العِناد المذموم والمؤدِّي إلى كثير من المساوئ.

٢ ـ تُبَيِّنُ الآيات الكريمة (١٨ ـ ٢٥) ما أصاب الوليد بن المغيرة من حَيْرة وتَرَدُّد، إذ تُبَيِّن أنه فَكَّر ورَتَّب في نفسه ماذا يقول عن القرآن من إفك مفترى، وهو مستحق ـ لفِعْلِه ـ هذا اللَّعْنَ والطَّرْدَ من رحمة الله، فما أعجب تقديرَه، وما أغربَ صنيعَه، وما أجرأَه على تبديل الحق، والافتراءِ عليه، وما أشدَّ عذابَه على ذلك!!.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

التفسير:

٢٦ ـ ٢٩ ـ في هذه الآياتِ بيانُ ما سيُعَذَّب به هذا المعانِدُ المكابر،

حيث إنه سيدخل جهنم، و(سقر) من أسمائها أو إحدى دَرَكاتها، والاستفهام عن سقر للتهويل والتفظيع، وزيادة التخويف منها، فما أعلمك حقيقةَ سقر؟ إنَّها لا تُبقي أحداً ممَّنْ يستحق دخولها، ولا تَذَرُ لِـمَنْ دخلها لحماً ولا عظماً إلا أَهْلَكَتْه، ولعظمتها يراها الناس من مسافات بعيدة تُلَوِّح لهم، وتَظْهَرُ بهيئتها المرعبة.

٣٠ ـ يُشْرِفُ على أهوال جهنم من ضروب العذاب تسعة عشر مَلَكاً، أو تسعة عشر صنفاً من الملائكة.

٣١ ـ جعل الله القائمين على أمور العذاب في النار ملائكة، وجعل في هذا الصنف من الملائكة غلظة وشدَّة وقدرة كبيرة على التعذيب. وفي الإخبار بعَدَدِهم ابتلاء واختبار للخلق أدَّى إلى تَيَقُّنِ أهلِ الكتاب من صِدْقِ النبي ﷺ؛ لتوافِقَ هذه المعلومةُ مع ما في الكتب المنزَّلة من قبل، وأدَّى إلى زيادة إيمان المؤمنين وتثبيتهم على الحق أكثر، فهم يُصَدِّقُون كل ما يخبر به الله تعالى من أمور الغيب، فإذا وافق ذلك تصديقُ أهل الكتاب به، كان أدْعَى لتصديقه. أمَّا أهلُ الكفر والنفاق وضعاف الإيمان فقد استنكروا إعلام الله تعالى عباده بهذه المعلومة، وعجبوا من ذلك، فجاء السياق يرد عليهم أن الله تعالى يعلم مَنْ يستحق الهداية فيَهْديه، وييسر له سُبُلَها، ويعلم مَنْ يستحق الضلال، فيتركه وما أراد بعد أن يُبَيِّنَ له الحُجَجَ والبراهين. ثم بَيَّنَ سبحانه أنه وحده يعلم تفاصيل كل ما يتعلَّق بجنوده من الملائكة وغيرهم، من كثرة وقوة وتَنَوُّعِ مَهامَّ، وقد أعلم الله تعالى خَلْقَه عن النار وصفاتها وأهوالها؛ ليتذكَّروا ويعتبروا، ويعملوا للنجاة منها.

٣٢ ـ إلا أن فريقاً من الناس لا ينتفع من الذِّكْرى، ولا يستجيب للحق. وهذا الفريق يستحق الرَّدْعَ والزجر لما هو فيه، ثم أقسم سبحانه بالقمر، وهو من الآيات العظمى الدالة على الخالق سبحانه.

٣٣ ـ ٣٤ ـ وأقسم سبحانه بالليل حين ينتهي وقته، وبالصبح الذي يَتْبَعُ الليل، فينشر الضياء والنور في أرجاء الأرض.

٣٥ ـ ٣٦ ـ إن جهنم وما فيها من أهوال وعذاب أمرٌ هائل ثقيل. وفي هذا الوصف تخويف وإنذار للبشر جميعاً؛ لينجُوا من عذابها.

٣٧ ـ فمَنِ انتفع من هذا النذير تَقَرَّب إلى الله بعمل الطاعات، وسبق إلى الخيرات، وفاز بالجنات، ومَنْ لم ينتفع به، وتأخر عن الاستجابة، وأقام على الشرك والضلال، فهو ممَّنْ سيلقى سوء المصير.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ من طبيعة الناس أَنْ تَتَبايَنَ مواقِفُهم، وتَتَعَدَّد اتجاهاتهم، وتختلف نظرتهم نحو شيء واحد؛ نظراً لاختلافِ طبائعهم، وتفاوُتِ تقديرهم، واتباع فريقٍ منهم الهوى.

٢ ـ اختيار اسم (سقر) لجهنم في هذه الآيات دون غيره من الأسماء؛ لما فيه من مشاكَلةٍ لكثير من آيات هذه السورة في الوزن، وفي الحرف الأخير منها.

٣ ـ من صفات المؤمن الحق المبادرةُ إلى التصديق والانقياد لما يخبر الله سبحانه ولما يأمر به، ولو لم يعلم الحكمة، فالله أعلم بما شرع وأنزل.

٤ ـ استقلَّ بعض المشركين عدد خزنة جهنم من الملائكة، وأنهم تسعة عشر، فقال أبو الأشدِّ وهو رجل من قريش: يا معشر قريش لا يَهُولَنَّكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمنكبي الأيمن عشرة، وبمنكبي الأيسر التسعة، ووَرَدَ قريبٌ منه عن أبي جهل. (ينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٦٥، ولباب النقول للسيوطي ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ـ ٢٢٣). وهذا كله دليل غرور، وإجحاف بحق الملائكة الكرام لظَنِّهم أنَّهم كالبشر؛ ولذا نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

٥ ـ ينظر: صورة إدبار الليل، كما في الملحق.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا
سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ
مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ
﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ
كُلُّ ٱمْرِىٍٔ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ
﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

التفسير:

٣٨ ـ ٣٩ ـ يخبر الله سبحانه أنَّ الناس جميعاً ينالون عقابهم على ذنوبهم ويُمْنَعُون من النعيم يوم القيامة؛ بسبب كفرهم وضلالهم، أما المؤمنون فإنهم يدخلون الجنة، ولا يُمنعون منها؛ بسبب أعمالهم الحسنة.

٤٠ ـ ٤٢ ـ يُدْخِلُ الله المؤمنين أصحاب اليمين الجنة، فيتساءلون عن مصير الكافرين، إذ لم يروهم معهم في الجنة، فيَعْلَمُون أنَّهم في النار، ويُسمح لهم بالحديث معهم، فيسألونهم عن سبب دخولهم النار، وحِرْمانهم من الجنة.

٤٣ ـ ٤٨ ـ يذكر أهل النار في الجواب أسباب دخولهم النار وهي: غفلتهم عن أداء العبادات المطلوبة منهم ـ وأهمُّها الصلاة ـ وعن الإحسان إلى المحتاجين، وعن إطعام المساكين، وغفلتهم عن مراقبة النفس وما يصدر عنها من أقوال وأفعال غير لائقة ولا حسنة، والكفر بالله تعالى وعدم التصديق بحصول يوم القيامة، وأنَّهم بَقُوا على هذه الحال حتى أتاهم الأجل، وماتوا على غير الهدى، فاستحَقُّوا دخول النار، ولأنَّهم لا يستحقون الشفاعة، فلن يشفع لهم أحد من عباد الله الصالحين. وعلى افتراض حصول شفاعة أحدٍ لهم، لن تُقبل هذه الشفاعة لهم.

٤٩ ـ ٥١ ـ وإنَّ ممَّا يُستغرب: ابتعادَهم وإعراضَهم عن القرآن وهدايته، وقد كانوا يُدْعَون إليه في الدنيا، ولكنهم كانوا يعرضون عنه إعراضاً شديداً، كما تنفر الحمر الوحشية، وتَفِرُّ فَزِعَةً إذا رأت أسداً مقبلاً عليها يريد إهلاكها،

فتتفرق في كل اتجاه بلا هدف سوى الهرب والنجاة. وهذا النفور من المشركين عن الحق مستغرب جداً، فهم يُدْعَوْن إلى الهدى والرشاد، لا إلى الهلاك والضلال، ولكن الوهم الذي في نفوسهم، وتَمَكُّنَ الكفر من قلوبهم هَيَّأ لهم ذلك الإعراض.

٥٢ ـ ٥٣ ـ بلغ من كفر المشركين وعنادهم، طَلَبُ حصول كل واحد منهم على كتاب من الله يخاطبه فيه، ويطلب منه الإيمان. كلا إنَّ ذلك لن يحصل، فهم ليسوا من أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، ولا يخافون العقاب في ذلك اليوم، ولذلك تجرَّؤوا على مثل هذا الطلب.

٥٤ ـ ٥٦ ـ حقاً إنَّ في القرآن ما يُغني عن ذلك وعن غيره، فهو كتاب الهداية، وفيه كثير من المواعظ والعِبَر التي تدعو الخَلْقَ إلى الإيمان بالله، وإلى العمل الصالح. ولا ينتفع بهذه الآيات إلا مَنِ استجاب لأمر الله، واهتدى بهداه، وهم الذين شاء الله هدايتهم، ونَوَّر قلوبهم؛ بسبب إقبالهم عليه وإيمانهم به، وهم يعلمون أنَّه ـ سبحانه ـ هو العظيم المستحق للعبادة والتقوى، وأنَّه هو الذي يغفر لهم ما سلف مِنْ كُفْرٍ وذنوب.

الفوائد والاستنباطات:

١ ـ يبلغ العِنادُ والغرور ببعض الناس مبلغاً عظيماً يُوصِلُهم إلى طلب المستحيل، ومن ذلك طَلَبُ المشركين كتباً يخاطبهم الله بها بأعيانهم وأسمائهم، يدعوهم فيها إلى الإيمان به. وكان الرد على هذا الطلب المقرون بالعناد والغرور أنهم لا يستحقون ذلك.

٢ ـ بيان أكبر الجرائم وهي: تَرْكُ الصلاة، ومَنْعُ الزكاة، والخوض في الباطل، وإنكار الحساب. (أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري: ٤/ ٥٨٥).

٣ ـ تشبيه هيئة المشركين في هُروبِهم من الهدى والرسول بالحُمُرِ الهاربة، فيه احتقارٌ لهم، وإظهار أنَّهم لا يستخدمون عقولهم، وأنَّهم يجتمعون على الباطل.